

الفكاهة في الأدب الشعبي الأردني

نايف النوايسة*

تعدّ الفكاهة إحدى ألوان الأدب الشعبي، وفكاهة مهمة من ثمار المجالس العامّة، والأمر الذي ينبغي أن نلاحظه هو كثرة ما يُروى من الفكاهات أو الأفكوهات في مجالس الرجال ودواوين النساء وحلقات الشباب، وأنّ ما كُتب عن الفكاهة في المجالات المتخصصة والكتب التراثية قليل إذا ما استثنينا دراسة مهمة للدكتور هاني العمدة بعنوان: (ملامح النكتة الشعبية في الأردن ثقافة شعبية متحركة وفاعلة) (١)، ونشرها في مجلة دراسات التي تصدرها الجامعة الأردنية. وقبل أن أذهب إلى موضوع الفكاهة ثم أقصره بعد ذلك على دلالات النكتة السياسيّة لا بد من تقديم ملخص لدراسة الدكتور العمدة التي أشرت إليها قبل قليل.

(الحكام والشعوب والتصرفات الفردية والسياسات والمرأة والرجل والفئات الاجتماعية ورجال الدين والجنس المستور والمكشوف)، ثم تطرّق الباحث إلى المشاهد التصويرية في النكتة، وذهب الدكتور العمدة كغيره إلى أن النكتة كاطلقة الطائشة تسقط داخل وسط ما لكنها تنفجر ضحكاً..

* * *

ما الفكاهة؟ أعدت هذه الكلمة إلى أصلها في اللغة، فهي من جذر (ف ك هـ)، وفكه الرجل أن يأتي بمُلح الكلام أي أطرفه، فهو فكه وفكاهة وفيكهان إذا كان طيب النفس مزاحاً، والاسم هو الفكاهة والفكاهة؛ فالفكاهة هي المزاح، والتفكاهة هو التمازح، والمفاكاهة هي الممازحة، والأفكوهة الأعجوبة، وهي ما يتمتع به من طرف الكلام. ومن معانيها، تفكّه بالشيء تتمتع به، ويقال: تركت القوم يتفكّون بفلان إذا كانوا يغتابونه وينالون منه. والفكّه هو الذي يُحدّث أصحابه ويضحكهم. وهو المُعجب وفق ما ورد في قوله تعالى:



فرّق الدكتور العمدة بين النكتة والنادرة، ثم أظالم الحديث حول النكتة وذيل الدراسة بعدد من النكات بلغ عددها (٢٥٠) نكتة وحللها من خلال المنهج الوصفي الذي يهدف للوصول إلى الخطوط المشتركة لدى سلوك جماعة معينة، وبين في مطلع دراسته ملامح الشخصية الساخرة التي سادت المجتمع الأردني وعلاقات النكات بالنقد الاجتماعي ودور التكنولوجيا الحديثة في انتشارها وذيوعها وجرأتها على مواجهة الواقع ونقده بكل مكوناته، وأشار إلى أنّ النكات تُعدّ من المفاتيح الثقافيّة المهمة للوقوف على الأبعاد الشخصية لأيّ شعب. ويذكر الدكتور العمدة أنّ النكتة في الأردن ظهرت بصورة جليّة بعد حرب ١٩٦٧ م، واستطاع الإنسان الأردني أن يقدم الكم الكبير من النقد الكلامي على هيئة نكات ما دام لا يستطيع فعل شيء تجاه الهزيمة بعدما تبين له تخاذل الأنظمة السياسيّة العربيّة عن مواجهة المرحلة بصورة مقنعة، وكان للنكتة الموجهة خطورتها، كما ذكر، لأنّها تحمل فلسفة جادّة وعميقة بكلمات موجزة بعيدة عن المحسنات اللفظية. وبحث الدكتور العمدة في تقنية النكتة ومرتكزاتها اللغوية، أي الكيفية التي تُبنى عليها بأساليب لغوية غاية في الدقّة، وركّز على بساطة النكتة وصراحتها وجرأتها على تجاوز المسلمات وتعرية المنوعات. وتعرّض العمدة لمكونات سرد النكتة الثلاث: (الراوي، والنص، والمروي له)، ولوضوعات النكتة ومجالاتها:

* أديب وباحث أردني



(فَظَلْتُمْ تَفْكَهُونَ) أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم. وقوله عز وجل: (فاكهين بما آتاهم ربهم) أي ناعمين مُعجبين بما هم فيه، وإذا قرئت: (فَكَهَيْن) فتعني فرحين. وفي قوله تعالى: (في شغل فاكهون) أي متعجبون وناعمون بما هم فيه ويفسرهما الضراء بأنهم حذرون وحاذرون(٢). تبين مما سبق أن الفكاهة هي مظلة جامعة لكل ما يثير العجب والطرفة والضحك والتندر والسخرية ومشاعر الفرح والسرور، وذهب المعجم الوسيط(٣) إلى تعريف وجيز جامع للفكاهة هو (كل ما يتمتع به من طرف الكلام)، وهذا التعريف يجمع النكتة والطرفة والنادرة تحت سقف الفكاهة. وصنف (مكنز الفولكلور) المصري الفكاهة تحت موضوعة الأدب الشعبي، وتضمنت الفكاهة هنا ما يأتي: (النكتة، القافية، والنوادير، والمقالب الفكاهية، والمواقف الفكاهية، والفكاهة التشكيلية، والصحافة الفكاهية، والكاريكاتير، والشخصيات الفكاهية، والضحك، والأداء الفكاهي)(4). وكذلك هذا (مكنز التراث الشعبي المغربي) الحذو نفسه، فقد صنف الفكاهة

العملية العقلية والنفسية الكامنة وراء ذلك، ثم الأفكوهة الناتجة من كل هذا). عُرف من الشخصيات الفكاهية القديمة جحا العربي الذي ينسب إليه الكثير من النكات والمواقف المضحكة التي تهدف إلى معالجة قضية ما، أو البحث في أزمة سياسية أو اجتماعية وإيجاد حلول لها بطريقة ضاحكة، ومن الشخصيات الفكاهية المعروفة: (أشعب، وأبو دلامة، والشعبي، وأبونواس)، واهتم الشعراء بالفكاهة، حتى إن بعضهم أطلق الشعر الفكاهي على الشعر الذي تضمن مواقف جمعت بين المتعة والضحك والترويح عن النفس وتحقيق هدف ما، بحيث تلمس تصويراً كاريكاتيرياً لحالة فردية أو وضع اجتماعي يثير الضحك ولكنه يقدم نقداً واتهاماً، ومن الشعراء القدامى الذين عُرفوا بهذا الشعر الفكاهي الناقد الشاعر ابن الرومي الذي وجه هجاءه لهذه الغاية، يقول في أبي بن أبي قرّة

باسم النكتة الشعبية وفي موضوعة الأدب الشعبي وتضمنت ما يأتي: (النكات بحسب الانتماء الإثني الجغرافي: "نكت عروبية ويهودية وحسانية"، والنكت بحسب المضامين: "النكت الاجتماعية والسياسية والدينية والجنسية"، والنكت بحسب الشخصيات: "نكت الشخصيات الشهيرة ونكت الحيوانات ونكت حول الأجانب ونكت المغاربة والأجانب ونكت العربي والأمازيغي ونكت العربي واليهودي ونكت القروي والحضري ونكت حول الملوك والرؤساء"(5). وللفكاهة وظيفة اجتماعية تتجاوز حدود التواصل بين الأفراد والجماعات إلى إعادة إنتاج علاقات جديدة بين الناس أعمق فهماً واقدر على التغيير الايجابي وتعديل السلوك على مستوى الفرد أو الجماعات ومن وظائفها ازالة الخوف المستحكم في نفوس الناس اتجاه قضية ما من خلال معارضة السلطة السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية ونقدها.

وتحتاج الفكاهة إلى ما يأتي: (الشخص الذي ينتجهم

(6) (مجزوء الرجز):

أَقْصِرْ وَعَوِّرْ وَصَلِّعْ فِي وَاحِدٍ؟

شواهد مقبولة ناهيك من شواهد

تخبرنا عن رجل مستعمل المقافد

فكف منه بصراً مثل السراج الواقد

وحتّ منه شعراً أسود كالعناقد

حديثاً عُرف الشعر الفكاهي ب(الشعر الحلمنتيشي)

وهو شعر عامّي انتشر في مصر، واشتهر به الشاعر

حسين شفيق. وحفلت السير الشعبية بالفكاهة،

وتركزت الروح الفكاهية عند بعض الشخصيات

الجانبية التي تمتلك ذكاءً متقدماً وقدرة على توليد

الفكاهة وخلق الموقف الذي يتضمن السخرية من

أعداء البطل، ويكون لمعاون البطل دور واضح في

صناعة الجوّ الساخر، ومن يقرأ سيرة عنتر بن

شداد سيجد بجواره شيبوب، وسيرة حمزة البهلوان

سيجد عمر العيار، وسيرة الأميرة ذات الهمة سيجد

محمد البطال، وسيرة الظاهر بيبرس وبجواره شيحة

وعثمان بن الحلبى(7).

وفي هذه المقالة سأحلل بعض النكات من حيث اللغة

والغرض ومستوى الضحك والمتعة التي تحققها،

مشيراً إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي حرص

الكثير من النكات على ذكر بعض المناطق مثل:

(الكرك والطفيلة والسلط والصريح والمزار

الشمالي)، وقلّما أجد نكتة تخصّ عمان أو الزرقاء أو

معان أو العقبة أو إربد أو عجلون أو الكرك، كما

تذكر بعض الجماعات أو القبائل، كما يُذكر المسيحي

إذا كان يمثل عنصرًا رئيسًا في بناء النكتة، ومع

تقديرى لكلّ مناطقنا وجماعاتنا وطوائفنا فإنني

سأتناول النكتة كما هي متداولة في مجتمعنا الأردنيّ

لبيان مؤشرات الحميمية في العلاقة بين الجميع،

بمعنى سأنظر في النكتة من جوانبها الإيجابية.

النكتة السياسيّة

1. قرر رئيس مجلس النواب إجبار أعضاء المجلس

على الدخول لقبّة البرلمان حفاة وبدون أحذيتهم،

كما قرر خلع المقاعد الخشبية وتحويل قاعة

الاجتماع العريضة إلى صالة يفرش فيها الفراش

العربي.

2. على ذكر الجرّاد علق أحدهم: قد يلغي الجرّاد

زيارته للأردن لأن المسؤولين أكلوا الأخضر واليابس.

3. شو الفرق بين حزب الله وصباح؟

قال: صباح عملت عمليات أكثر.

4. سأل: ما الفرق بين الخوري والمخبرات؟ قال:

الأول تعترف له، والثاني يناولك ثم يناولك ثم

تعترف له.

5. في واحد أردنيّ بده يعمل عمليه انتحارية، وقف

وسط 50 يهودي ونحر حاله، ماتوا (7) من الضحك.

النكتة الاجتماعيّة

1. في إحدى الانتخابات السابقة سألوا أخواننا

الصرايرة: مين منزلين المرة هذه، نط شايب من

بينهم وقال: إحنا الصرايرة السنة هاي عندنا كراب

(أي حراثة بلا زرع).

2. قسم أهل الصريح والحصن بركة الماء الواقعة بين

القريتين بحبل، في منتصف الليل صحا أهل الحصن

على أهل الصريح يغرفون الماء من حصة الحصن

ويسكبونها في حصة الصريح.

3. هبت زوبعة قوية على الصريح، تناخى الشباب،

وهجموا عليها بالشباري.

4. مزارى (المزار الشمالي)، ركب في باص، وحدة

حلوة كتير قالت له: لو سمحت يا حجي سكر

هالشباك. قال إلها: أي ما حجيت، أي اعتمرت،

قولي لي يا عمري.

5. طفيلي شاف مكتوب على باص: (السلط- زي -

عمان) رجع كتب على باصه (الطفيلة- زي الكرك

وأحسن).

6. لما جاء الجرّاد على الجنوب، الطفيلة وضعوا

لوحة وكتبوا عليها (إلى الكرك الخضراء).

7. شخص اسمه فهد اجاه ورثه 20 مليار، وأصحابه

خايفين يخبروه تجيه سكتة قلبية ويموت! فكروا من

يخبره ويكون أسلوبه حلو. قال جارهم "مهاوش": أنا ابغاه.

راح وسألّه: لو جا لك يا فهد عشرين مليار إيش

تسوي فيها؟ قال: بعطيك النص. مات مهاوش.

8. طلاب جامعه غابوا عن امتحان، واتفقوا على

كذبة عشان يحكوها للدكتور تبعهم. قالوا: دكتور،

مبارح رحنا على عرس صاحبنا، وانفجر معنا عجل

السيارة اضطررنا ندفع السيارة طول الطريق وتعبنا

وما كان معنا وقت ندرس. الدكتور وافق وأعطاهم 3 أيام

لحتى يدرسوا، وبالامتحان، حظ كل طالب بقاعة

لحاله. والامتحان كان عبارة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: أي عجل اللي انفجر؟ أ. أمامي يمين

ب. أمامي شمال ج. خلفي يمين د. خلفي شمال.

بتشتغل؟ قال له: بشتغل مهندس بتترول، قال له ابو البننت: برافو عليك وين؟ قال له الشب: في الأردن. رد عليه بعصبية: ليش فيه بتترول بالأردن؟ قال له الشب: أنت اللي بلشت تتخوث هو يعني بالأردن في شغل؟

النكتة الدينية

1. واحد راح على الحج ظل نايم بالسكن لا صلاح ولا طواف ولا سعي، لما سألوه: ليش هيك؟ حكا لهم: انا ما إني علاقة حكولي كل إشي على الشركة.
2. عندما طلب المسيحيون في أدر من المعايطه السماح لهم ببناء كنيسة، وافق المعايطه بشرط انه يكون الخوري منهم، أي من المعايطه.
3. مسيحي اسمه جورج دُفن بالخطأ في مقبرة للمسلمين، وظل أموات المسلمين، كلما احتاجوا لشراء شيء من الخارج، يكلفونه هو قائلين: (ياالله يا جورج إنت لابس أواعيك)، تعب جورج ومل، فأعلن إسلامه.
4. مسيحي دخل المسجد وهو يحمل سكيناً وسأل: مين فيكم مسلم؟ فخافه الجميع إلا واحد شجاع رفع يده، فأخذه المسيحي إلى بيته وقال له: عندي ضيوف مسلمين، وأريدك أن تذبح لي خروفاً وتسلخه على الطريقة الإسلامية. المسلم ذبح له الخروف، لكنه قال إنه لا يعرف كيفية السلخ.. فعاد المسيحي وبيده السكين الملطخة بالدماء إلى المسجد، وسأل: مين كمان مسلم؟ عندها أشار المصلون إلى الإمام الذي صرخ قائلاً: شو يعني، إذا صليت فيكم ركعتين صرت مسلم؟
5. شيخ مسلم كان مع رجل دين مسيحي محتجزين تحت القصف في خندق، وفجأة ارتفع صوت المسيحي هاتفاً: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال له المسلم: شو، أسلمت؟ فرد المسيحي: والله إشي بيخلي الواحد يكفر.
6. زار وزير الأوقاف ومعه وفد مسجد المشهد المقام على ميدان معركة مؤتة ومعه وفد، لاقاه خادم المسجد ولم يكن يعرفه، وراح يشرح لهم عن المعركة وقال: هي هوشة بين جماعتين من العربان اللي كانوا هانا، مات اللي مات وفض اللي فض.. تتحنح الوزير وسأله عن وظيفته، وبعدين سأل الخادم الوزير وهو زعلان: وحضرتك ويش بتشتغل؟ قال الوزير: أنا وزير الأوقاف.. ارتجف الرجل خائفاً وقال: يا سيدي الوزير أنا شغلتي هانا فرغ زير عبي في زير.

- السؤال الثاني: في أي شارع صار الحادث؟ السؤال الثالث: أي ساعة انفجر العجل؟ وكتب ملاحظة: إذا لم تكن الأجوبة مطابقة، بدي أفصح عرضكو.
9. طفيلي راح يعزي، وبالغزاء أتاثر كثير هو طالع سأل أخو الميت: ما في أمل يرجع؟
10. ما الفرق بين الحبل القصير والتنورة القصيرة؟ الحبل القصير بيجر حمار واحد أما التنورة القصيرة بيتجر (100) حمار.
11. مزارع من غور الصافي رجع البيت زعلان سألته مرته: مالك زعلان؟ قلها: ضاع الحمار؟ قالتله ولا يهملك إي والله دخلتك علي أحسن من 100 حمار.
12. زوج تقول له زوجته: بكره عيد زواجنا ولازم تذبح خروفين بهامناسبة. رد عليها زوجها قائلاً: طيب شو ذنب خروفين بغلطة تيس.
13. واحد طفيلي: زرع أرضه دخان ولما إجا وقت الحصاد عبأ الدخان في شوالات وكتب عليهم: ش م ل. ولما سأله التاجر اللي بده يشتري الدخان. شوهاي الأحرف هل هي اختصار لاسم شركة؟ قاله لا والله: هذا يعني ش. شوال، م. منبوط، ل. لدينه، عشان ما نظل نوزن ونغلب حائنا.
14. كركي تهاوش هو وصيني. الصيني يلعب كراتيه ضرب الكركي ودخله المستشفى 3 أيام، بعدين سأله الكركي شو الضربة اللي ضربتني إياها؟ قاله: هاي في الكراتيه اسمها "سي صن سو" ... ثاني يوم اجا الكركي ضرب الصيني ضربه ودخله المستشفى أسبوع، وبعد ما طلع الصيني من المستشفى سأل الكركي شو الضربة اللي ضربتني إياها، قاله الكركي "جي ام جي" .. قاله الصيني: بس ما عندنا في الكراتيه ضربة هيك اسمه، كيف عملتها؟ قاله الكركي: جي ام جي يعني (جك ملفوف في جريدة).
15. طفل أبوه بدو يسجله في المدرسة، الطفل لازم يكون صفه ثاني مش أول. قال له مدير المدرسة: بدنا نعملك فحص إذا نجحت بتدخلك صف ثاني مباشرة. سأله باللغة العربية والانجليزية وكل المواد نجح فيها كلها، بقي الرياضيات. سأله: ابوك شري بذلة بعشرة دنانير دفع من ثمنها دينارين وقسط الباقي دينار كل شهر كم من الزمن بدو والدك لم يسد ثمن البذلة؟ اجاب التلميذ: سنتين.. فقال المدير: هيك ما بتعرف رياضيات. فقال الطالب: أنت ما بتعرف أبوي.
16. شب راح يخطب، سأله أبو البننت: أنت شو

وحملت الطفيلة نصيباً أكبر من النكات في الأردن، ويعبر أبناء الطفيلة عن طبيعة علاقتهم بالكرك بنكات مضحكة تحمل روح المنافسة كما في الأفكوهتين المذكورتين.. وفي طبيعة السياق الاجتماعي ومواجهته للواقع يقضي (مهاوش) موتاً لعدم تحمله الصدمة باعتباره صناعةً لمجتمع استهلاكي ترتبط الحياة والموت به بالمال وعدمه.. وتكشف مواجهة الأستاذ الجامعي لتأخر طلابه عن الامتحان عن ذكاء الأستاذ وغباء الطلبة الذي بُني على استغاباتهم للأستاذ، وما جرى بين الطرفين هو نقد لطيف للكذب والتلمص من تحمل المسؤولية، ومعالجة ذكية من الأستاذ.. ومثل ذلك بقية النكات المتصلة بالبعد الاجتماعي والتي تعالج بالضحك السلوك الانحرافي والقهر الاجتماعي وسوء التصرف والغرور وأزمات المجتمع الاستهلاكي والفجوة بين السلوك وواقع الحال.. ولا تتوانى النكتة الدينية عن مواجهة بعض المواقف ومعالجتها بأسلوب الإضحاك؛ ففي النكات التي يكون محورها المسيحي والمسلم تلمس حرص الاثنيين على العيش الواحد مثل نكتة الكنيسة في بلدة ادر وقضية جورج الذي دُفن في مقبرة المسلمين، فضلاً عن الفهم السطحي للدين وأسلوب المفارقة، وأما نكتة خادم المسجد في بلدة مؤتة فتدل استسهال مركب الدين ثم علاقة السلطة بذلك، والتبرير بعد إدراك الخطأ؛ (يا سيدي أنا وظيفتي عبي زير فرغ زير)... هذه نماذج من النكات وإضاءات كاشفة لوظائفها ودلالاتها، ولا بد من تأكيد المستوى المعرفي للنكتة ودورها في النقد وتعديل مسارات المجتمع.

المراجع

1. د. هاني العماد، ملامح النكتة الشعبية في الأردن/ثقافة شعبية متحركة وفاعلة، مجلة دراسات/العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 33، العدد 1، الجامعة الأردنية، عمان، 2006م، ص 34.
2. لسان العرب، مادة (فك ه).
3. معجم الوسيط، مادة (فك ه).
4. د. مصطفى جاد، مكنز الفولكلور، مج 1/ القسم المصنف، ط 1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2006م، ص 357.
5. دكتوراة السعدية عزيزي وآخرون، مكنز التراث الشعبي المغربي، القسم المصنف، ط 1، جمعية وادي الحجاج للثقافة والتنمية، الدار البيضاء، 2008م، ص 321.
6. عبد محمد بركو، النكتة والفكاهة في الأدب الشعبي، مجلة الخفجي، السنة 32، ع 4، شركة الزيت العربية المحدودة، الخفجي، 2002م، ص 42.
7. د. خليل أحمد خليل، نحو سوسولوجيا للثقافة الشعبية، ط 1، دار الحدادة، بيروت، 1979م، ص 162.

في النكتة السياسية نرصد مستوى الحرية التي ينعم بها المواطن والسماح له في التعبير عن آرائه ونقد المسؤول صاحب القرار دون مصادرة أو حجز أو مطاردة، ويلجأ المواطن إلى النكتة للتقنع بها للإشارة الضحك كأسلوب يتجاوز به قنطرة الملاحقة، فهو يجمع في نكته بين متعته الذاتية ومعرفته الاندهاشية وموقفه الناقد، مثلاً: يعبر عن عدم رضاه عن مجلس النواب كمثل له بكيفية مضحكة تلفت النظر إلى المجلس عندما تخلى عن دوره الرزين (الرقابة والتشريع). ويستغل المواطن وجود الجراد في الأردن فيعلن عن موقفه من الفساد بقوة، تاركاً مساحة تفاعلية كبيرة لتلقي النكتة كي يفتح عقله الناقد ليواجه مستنقع الفساد بقناعة تامة، ويقلل من قيمة عمليات حزب الله عندما يقرنها بالعمليات التجميلية التي أجرتها المغنية صباح، ففي هذا الموقف الصارخ يعلن رفضه لتجميل القبيح أو تزييف الحقيقة. ولا يختلف أبناء الوطن العربي على موقفهم من أسلوب المخابرات في بلدانهم، فإذا كان الرضا هو بوابة الاعتراف أمام الخوري، فإن التعذيب والضرب والإهانة والقمع هي وسيلة الاعتراف أمام المخابرات، موقف دال على الرفض إجمالاً. وتدل العملية الانتحارية بواسطة سلاح الضحك على موقف ناقد صريح للدول العربية التي أدارت ظهرها للقضية الفلسطينية؛ فاسترخى اليهود آمنين ولم يجد الأردني الحر كمثل لامته سلاحاً للمقاومة إلا أن ينحر نفسه بوسط يهودي ليعلن رفضه لليهود ولقادة أمته. وتتوالى الضغوط الاجتماعية على المواطن فيواجهها بالفكاهة معبراً بذلك عن موقفه من هذه الضغوط، والفكاهة هي من أدب النقد والاعتراض (8) ولون من ألوان المعرفة وتوضع بقوالب سهلة وتواجه بالأسئلة وتحرص على الإضحاك وتتضمن نقداً لظاهرة تستحق الدراسة. ونجد في النكتة الاجتماعية حضوراً للصورة الفلاحية البسيطة؛ فأحد أبناء عشيرة الصرايرة يعبر عن موقف عشيرته من الانتخابات بقوله (السنة عندنا كراب) وتعني عدم فلاحه الأرض لسنة من أجل إراحتها، بمعنى أن الانتخابات أنهكت النسيج الاجتماعي للعشيرة كما تُنهك الزراعة المستمرة الأرض.. وتلمس في نكت أهل الصريح النقد بالتلميح للغباء للغباء الاجتماعي ومواجهة السلوك الشرير بالنقد من خلال الضحك..